

تفسير البحر المحيط

@ 138 للإنكار ، وكأنه ثم محذوف تقديره : فامتنعوا من الأكل ، فأنكر عليهم ترك الأكل فقال : { أَلَا تَأْكُلُونَ } . وفي الحديث : (إنهم قالوا إنا لا نأكل إلا ما أدينا ثمنه ، فقال لهم : وإنني لا أبيعكم لكم إلا بثمن ، قالوا : وما هو ؟ قال : أن تسموا الله عز وجل عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ من الأكل ، فقال بعضهم لبعض : بحق اتخذها خليلاً) . . { فَأَلَوْ جَسَ مِنْهُمْ خِيفَةٌ } : أي فلما استمروا على الامتناع من الأكل ، وأوجس منهم خيفة ، وذلك أن أكل الضيف أمانة ودليل على انبساط نفسه ، وللطعام حرمة وذمام ، والامتناع منه وحشة . فخشي إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن امتناعهم من أكل طعامهم إنما هو لشر يريدونه ، فقالوا لا تخف ، وعرفوه أنهم ملائكة . وعن ابن عباس : وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب . وعلمهم بما أضمر في نفسه من الخوف ، إنما يكون باطلاع الملائكة على ما في نفسه ، أو بظهور أمارته في الوجه ، فاستدلوا بذلك على الباطن . وعن يحيى بن شداد : مسح جبريل عليه السلام بجناحه العجل ، فقام يدرج حتى لحق بأمه . { بَغْضًا لِمِ } : أي سيكون عليماً ، وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء . وعن الحسن : عليم نبي ؛ والجمهور : على أن المبشر به هو إسحاق بن سارة . وقال مجاهد : هو إسماعيل . وقيل : علم أنهم ملائكة من حيث بشره بغيب ، ووقعت البشارة بعد التأنيس والجلوس ، وكانت البشارة بذكر ، لأنه أسر للنفس وأبهج ، ووصفه بعليم لأنها الصفة التي يختص بها الإنسان الكامل إلا بالصورة الجميلة والقوة . . { فَأَلَوْ بَلَاتِ امْرَأَتِهِ فِي صَرْوَةٍ } : أي إلى بيتها ، وكانت في زاوية تنظر إليهم وتسمع كلامهم . وقيل : { فَأَلَوْ بَلَاتِ } ، أي شرعت في الصباح . قيل : وجدت حرارة الدم ، فلطمت وجهها من الحياء . والصرة ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وسفيان : الصيحة . قال الشاعر : % (فألحقنا بالهاديات ودونه % . حواجرها في صرة لم تزيل .) % .

وقال فتادة وعكرمة : الرنة . قيل : قالت أووه بصياح وتعجب . وقال ابن بحر : الجماعة ، أي من النسوة تبادروا نظراً إلى الملائكة . وقال الجوهري : الصرة : الصيحة والجماعة والشدة . { فَصَكَّاتٌ وَجَّهَهَا } : أي لطمته ، قاله ابن عباس ، وكذلك كما يفعله من يرد عليه أمر يستهوه له ويتعجب منه ، وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء . وقال السدي

وسفيان : ضربت بكفها جبهتها ، وهذا مستعمل في الناس حتى الآن . { وَقَالَتْ ° عَجُوزٌ °
عَقِيمٌ } : أي إنا قد اجتمع فيها أنها عجوز ، وذلك مانع من الولادة ، وأنها عقيم ، وهي
التي لم تلد قط ، فكيف ألد ؟ تعجبت من ذلك . { وَقَالُوا ° كَذَلِكَ } : أي مثل القول
الذي أخبرناك به ، { قَالَ رَبُّكَ } : وهو القادر على إيجاد ما يستبعد . وروي أن
جبريل عليه السلام قال لها : انظري إلى سقف بيتك ، فنظرت ، فإذا جذوعه مورقة مثمرة . {
إِنَّه هُوَ الْعَكِيمُ } : أي ذو الحكمة . { الْعَلِيمُ } بالمصالح . .
ولما علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنهم ملائكة ، وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله تعالى
رسلاً ، قال { فَمَا خَطْبُكُمْ } إلى { قَوْمٍ مَّجْرُمِينَ } : أي ذوي جرائم ، وهي
كبار المعاصي من كفر وغيره . { لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ } : أي لنهلكهم بها ، {
حِجَارَةً مِّن طِينٍ } : وهو السجيل ، طين يطبخ كما يطبخ الآجر حتى يصير في صلابه
كالحجارة . { مَّسْوُومَةٌ } : معلمة ، على كل واحد منها اسم صاحبه . وقيل : معلمة
أنها من حجارة العذاب . وقيل : معلمة أنها ليست من حجارة الدنيا ، { لِلْمُسْرِفِينَ }
: وهم المجاوزون الحد في الكفر . { فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا } : في القرية التي
حل العذاب بأهلها . { غَيْرَ بَيْتٍ } : هو بيت لوط عليه السلام ، وهو لوط وابنتاه فقط
، وقيل : ثلاثة عشر نفساً . وقال الرماني : الآية تدل على أن الإيمان هو الإسلام ، وكذا قال
الزمخشري ، وهما معتزليان . .
{ وَتَرَكَنَا فِيهَا } : أي في القرية ، { آيَةً } : علامة . قال ابن جريج : حراً
كبيراً جدّاً منضوداً . وقيل : ماء أسود منتن . ويجوز أن يكون فيها عائداً على الإهلاكة
التي أهلکوها ، فإنها من أعاجيب الإهلاك ،